بسم الله الرحمـــــن الرحيم

موقع فضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان
www.rslan.com

قلة السالكين وكثرة الهالكين

الجمعة ٢٣ من جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ
الموافق ٣-٥-٢٠١٣م

عناصر الخطبة:

1) فرح الله جلَّ و علا بتوبة عبده (مدارج السالكين)
2) حال من لَيْسَ همه إِلَّا الله وَحده و ضده (الفوائد)
3) إِذا كَانَ الله وَرَسُوله فِي جَانب فاحذر أَن تكون فِي الْجَانِب الآخر (الفوائد)
4) أسباب إغلاق باب التوفيق و أصل ذلك مهانة النَّفس ودناءتها (الفوائد)
5) مَنْ عَرَفَ نَفْسَه عَرَفَ رَبَّه (الفوائد)
6) الغاية المطلوبة هي: محبة الله سبحانه (إغاثة اللهفان)
7) لا يدلّ العبد على الله شيء كالعلم النافع وتبقى المعضلة في معرفة ماهو العلم النافع (فضل علم السلف على الخلف)

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عِمْرَان:١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النِّسَاء:١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾[الْأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

[فقد أخرج البخاريّ و مسلم من رواية أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: " **لَلَّهُ أفْرح فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ معه رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ** " و هذا لفظ مسلم

قال الإمام العلّامة اللإمام ابن القيم رحمه الله :]

وَ هَذَا الْفَرَحَ لَهُ شَأْنٌ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ إِهْمَالُهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَهُ مَعْرِفَةٌ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يَلِيقُ بِعِزِّ جَلَالِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْأَوْلَى بِنَا طَيَّ الْكَلَامِ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ اللَّائِقُ بِأَفْهَامِ بَنِي الزَّمَانِ وَعُلُومِهِمْ، وَنِهَايَةِ إِقْدَامِهِمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَضَعْفِ عُقُولِهِمْ عَنِ احْتِمَالِهِ.

غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيَسُوقُ هَذِهِ الْبِضَاعَةَ إِلَى تُجَّارِهَا، وَمَنْ هُوَ عَارِفٌ بِقَدْرِهَا، وَإِنْ وَقَعَتْ فِي الطَّرِيقِ بِيَدِ مَنْ لَيْسَ عَارِفًا بِهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اخْتَصَّ نَوْعَ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ بِأَنْ كَرَّمَهُ وَفَضَّلَهُ، وَشَرَّفَهُ، وَخَلَقَهُ لِنَفْسِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ، وَخَصَّهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَقُرْبِهِ وَإِكْرَامِهِ بِمَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرَهُ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ وَمَا بَيْنَهُمَا، حَتَّى مَلَائِكَتَهُ – الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ قُرْبِهِ – اسْتَخْدَمَهُمْ لَهُ، وَجَعَلَهُمْ حَفَظَةً لَهُ فِي مَنَامِهِ وَيَقَظَتِهِ، وَظَعْنِهِ وَإِقَامَتِهِ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَهُ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، وَخَاطَبَهُ وَكَلَّمَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَاتَّخَذَ مِنْهُمُ الْخَلِيلَ وَالْكَلِيمَ، وَالْأَوْلِيَاءَ وَالْخَوَاصَّ وَ الْأَحِبَّاء، وَجَعَلَهُمْ مَعْدِنَ أَسْرَارِهِ، وَمَحَلَّ حِكْمَتِهِ، وَمَوْضِعَ حُبِّهِ، وَخَلَقَ لَهُمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فالخَلَقَ و الْأَمْرَ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مَدَارُهُ عَلَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، فَإِنَّهُ خُلَاصَةُ الْخَلْقِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَعَلَى الأمر و النَّهي الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

فَلِلْإِنْسَانِ شَأْنٌ لَيْسَ لِسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَقَدْ خَلَقَ أَبَاهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَظْهَرَ فَضْلَهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَمَنْ دُونَهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَطَرَدَ إِبْلِيسَ عَنْ قُرْبِهِ، وَأَبْعَدَهُ عَنْ بَابِهِ، إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لَهُ مَعَ السَّاجِدِينَ، وَاتَّخَذَهُ عَدُوًّا لَهُ.

فَالْمُؤْمِنُ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَخِيَرَةُ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّهُ خَلَقَهُ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ، وَلِيَتَوَاتَرَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، وَلِيَخُصَّهُ مِنْ كَرَامَتِهِ وَفَضْلِهِ بِمَا لَمْ تَنَلْهُ أُمْنِيَّتُهُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِهِ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ، و لِيَسْأَلَهُ مِنَ الْمَوَاهِبِ وَالْعَطَايَا الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، **الَّتِي لَا تُنَالُ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَحَبَّتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَإِيثَارِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ**، فَاتَّخَذَهُ مَحْبُوبًا لَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ أَفْضَلَ مَا يُعِدُّهُ مُحِبٌّ غَنِيٌّ قَادِرٌ جَوَادٌ لِمَحْبُوبِهِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ، وَعَهِدَ إِلَيْهِ عَهْدًا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ فِيهِ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ،

وَأَعْلَمَهُ فِي عَهْدِهِ مَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَيَزِيدُهُ مَحَبَّةً لَهُ وَكَرَامَةً عَلَيْهِ، وَمَا يُبْعِدُهُ مِنْهُ وَيُسْخِطُهُ عَلَيْهِ، وَيُسْقِطُهُ مِنْ عَيْنِهِ.

وَلِلْمَحْبُوبِ عَدُوٌّ، هُوَ أَبْغَضُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، قَدْ جَاهَرَهُ بِالْعَدَاوَةِ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يَكُونَ دِينُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَعِبَادَتُهُمْ لَهُ، دُونَ وَلِيِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمُ الْحَقِّ، وَاسْتَقْطَعَ عِبَادَهُ، وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ حِزْبًا ظَاهَرُوهُ وَوَالَوْهُ عَلَى رَبِّهِمْ، وَكَانُوا أهلًا لَهُ أَعْدَاءً لله مَعَ هَذَا الْعَدُوِّ، يَدْعُونَ إِلَى سَخَطِهِ، وَيَطْعَنُونَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَيَسُبُّونَهُ وَيُكَذِّبُونَهُ، وَيَفْتِنُونَ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُؤْذُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْأَذَى، وَيَجْتَهِدُونَ عَلَى إِعْدَامِهِمْ مِنَ الْوُجُودِ وَإِقَامَةِ الدَّوْلَةِ لَهُمْ، وَمَحْوِ كُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ، وَتَبْدِيلِهِ بِكُلِّ مَا يَسْخَطُهُ الله وَيَكْرَهُهُ، فَعَرَّفَهُ بِهَذَا الْعَدُوِّ وَطَرَائِقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ وَمَآلِهِمْ، وَحَذَّرَهُ مُوَالَاتَهُمْ وَالدُّخُولَ فِي زُمْرَتِهِمْ وَالْكَوْنَ مَعَهُمْ.

وَأَخْبَرَهُ فِي عَهْدِهِ أَنَّهُ أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنَّهُ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَحِلْمُهُ عُقُوبَتَهُ، وَعَفْوُهُ مُؤَاخَذَتَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَفَاضَ عَلَى خَلْقِهِ النِّعْمَةَ، وَكَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ وَالْجُودَ وَالْعَطَاءَ وَالْبِرَّ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِهِ، وَالْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْهُ، وَالْجُودَ كُلَّهُ لَهُ، وَأَحَبُّ مَا إِلَيْهِ أَنْ يَجُودَ عَلَى عِبَادِهِ وَيُوسِعَهُمْ فَضْلًا، وَيَغْمُرَهُمْ إِحْسَانًا وَجُودًا، وَيُتِمَّ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ، وَيُضَاعِفَ لَدَيْهِمْ مِنَنَهُ، وَيَتَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِأَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَيَتَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ بِنِعَمِهِ وَآلَائِهِ.

فَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ خَلَقَهُ اللَّهُ، وَيَخْلُقُهُ أَبَدًا أَقَلُّ مِنْ ذَرَّةٍ بِالْقِيَاسِ إِلَى جُودِهِ، فَلَيْسَ الْجَوَادُ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا هُوَ، وَجُودُ كُلِّ جَوَادٍ فَمِنْ جُودِهِ، وَمَحَبَّتُهُ لِلْجُودِ وَالْإِعْطَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَالْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ فَوْقَ مَا يَخْطُرُ بِبَالِ الْخَلْقِ، أَوْ يَدُورُ فِي أَوْهَامِهِمْ، وَفَرَحُهُ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ وَإِفْضَالِهِ أَشَدُّ مِنْ فَرَحِ الْآخِذِ بِمَا يُعْطَاهُ وَيَأْخُذُهُ، أَحْوَجَ مَا هُوَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مَا كَانَ قَدْرًا، فَإِذَا اجْتَمَعَ شِدَّةُ الْحَاجَةِ وَعِظَمَ قَدْرُ الْعَطِيَّةِ وَالنَّفْعِ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِفَرَحِ الْمُعْطَى؟ فَفَرَحُ الْمُعْطِي سُبْحَانَهُ بِعَطَائِهِ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ فَرَحِ هَذَا بِمَا يَأْخُذُهُ، وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى، إِذْ هَذَا شَأْنُ الْجَوَادِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالِابْتِهَاجِ وَاللَّذَّةِ بِعَطَائِهِ وَجُودِهِ فَوْقَ مَا يَحْصُلُ لِمَنْ يُعْطِيهِ، وَلَكِنَّ الْآخِذَ غَائِبٌ بِلَذَّةِ أَخْذِهِ، عَنْ لَذَّةِ الْمُعْطِي، وَابْتِهَاجِهِ وَسُرُورِهِ، هَذَا مَعَ كَمَالِ حَاجَةِ الْمُعطِي الجواد من

الخلق إِلَى مَا يُعْطِيهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ وُثُوقِهِ بِاسْتِخْلَافِ مِثْلِهِ، وَخَوْفِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ عِنْدَ ذَهَابِهِ، وَالتَّعَرُّضِ لِذُلِّ الِاسْتِعَانَةِ بِنَظِيرِهِ أَوَ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَفْسُهُ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ.

فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، وَأَوَّلَ خَلْقِهِ وَآخِرَهُمْ، وَإِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ، وَرَطْبَهُمْ وَيَابِسَهُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ مَا سَأَلَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

وَهُوَ الْجَوَادُ لِذَاتِهِ، كَمَا أَنَّهُ الْحَيُّ لِذَاتِهِ، الْعَلِيمُ لِذَاتِهِ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لِذَاتِهِ، فَجُودُهُ الْعَالِي مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَالْعَفْوُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الِانْتِقَامِ، وَالرَّحْمَةُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَالْفَضْلُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ.

فَإِذَا تَعَرَّضَ عَبْدُهُ وَمَحْبُوبُهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِنَفْسِهِ، وَأَعَدَّ لَهُ أَنْوَاعَ كَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَجَعَلَهُ مَحَلَّ مَعْرِفَتِهِ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولَهُ، وَاعْتَنَى بِأَمْرِهِ وَلَمْ يُهْمِلْهُ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ سُدًى، فَتَعَرَّضَ لِغَضَبِهِ، وَارْتَكَبَ مَسَاخِطَهُ وَمَا يَكْرَهُهُ وَأَبِقَ مِنْهُ، وَوَالَى عَدُوَّهُ وَظَاهَرَهُ عَلَيْهِ، وَتَحَيَّزَ إِلَيْهِ، وَقَطَعَ طَرِيقَ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، وَفَتَحَ طَرِيقَ الْعُقُوبَةِ وَ الِانْتِقَامِ وَالْغَضَبِ فَقَدِ اسْتَدْعَى مِنَ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ خِلَافَ مَا هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ مِنَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ، وَتَعَرَّضَ لِإِغْضَابِهِ وَإِسْخَاطِهِ وَانْتِقَامِهِ، وَأَنْ يَصِيرَ غَضَبُهُ وَسَخَطُهُ فِي مَوْضِعِ رِضَاهُ، وَانْتِقَامُهُ وَعُقُوبَتُهُ فِي مَوْضِعِ كَرَمِهِ وَبِرِّهِ وَعَطَائِهِ، فَاسْتَدْعَى بِمَعْصِيَتِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ مَا سِوَاهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَخِلَافُ مَا هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ مِنَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ.

فَبَيْنَا هُوَ حَبِيبُهُ الْمُقَرَّبُ الْمَخْصُوصُ بِالْكَرَامَةِ، إِذِ انْقَلَبَ آبِقًا شَارِدًا، رَادًّا لِكَرَامَتِهِ، مَائِلًا عَنْهُ إِلَى عَدُوِّهِ، مَعَ شِدَّةِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

فَبَيْنَا ذَلِكَ الْحَبِيبُ مَعَ الْعَدُوِّ فِي طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ، نَاسِيًا لِسَيِّدِهِ، مُنْهَمِكًا فِي مُوَافَقَةِ عَدُوِّهِ، قَدِ اسْتَدْعَى مِنْ سَيِّدِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ إِذْ عَرَضَتْ لَهُ فِكْرَةٌ، فَتَذَكَّرَ بِرَّ سَيِّدِهِ وَعَطْفَهُ وَجُودَهُ وَكَرَمَهُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَأَنَّ مَصِيرَهُ إِلَيْهِ، وَعَرْضَهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ قُدِمَ بِهِ عَلَيْهِ عَلَى أَسْوَإِ الْأَحْوَالِ، فَفَرَّ إِلَى سَيِّدِهِ مِنْ بَلَدِ عَدُوِّهِ، وَجَدَّ فِي الْهَرَبِ إِلَيْهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِهِ، فَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ، وَتَوَسَّدَ ثَرَى أَعْتَابِهِ، مُتَذَلِّلًا مُتَضَرِّعًا، خَاشِعًا بَاكِيًا آسِفًا، يَتَمَلَّقُ سَيِّدَهُ

وَيَسْتَرْحِمُهُ، وَيَسْتَعْطِفُهُ وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، قَدْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَيْهِ، وَاسْتَسْلَمَ لَهُ وَأَعْطَاهُ قِيَادَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْهِ زِمَامَهُ، فَعَلِمَ سَيِّدُهُ مَا فِي قَلْبِهِ، فَعَادَ مَكَانَ الْغَضَبِ عَلَيْهِ رِضًا عَنْهُ، وَمَكَانَ الشِّدَّةِ عَلَيْهِ رَحْمَةً بِهِ، وَأَبْدَلَهُ بِالْعُقُوبَةِ عَفْوًا، وَبِالْمَنْعِ عَطَاءً، وَبِالْمُؤَاخَذَةِ حِلْمًا، فَاسْتَدْعَى بِالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ مِنْ سَيِّدِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ، وَمَا هُوَ مُوجَبُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، فَكَيْفَ يَكُونُ فَرَحُ سَيِّدِهِ بِهِ؟ وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ حَبِيبُهُ وَوَلِيُّهُ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا، وَرَاجَعَ مَا يُحِبُّهُ سَيِّدُهُ مِنْهُ و يَرضَاهُ، وَفَتَحَ طَرِيقَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ، الَّتِي هِيَ أَحَبُّ إِلَى سَيِّدِهِ مِنْ طَرِيقِ الْغَضَبِ وَالِانْتِقَامِ وَالْعُقُوبَةِ؟ .

وَهَذَا مَوْضِعُ الْحِكَايَةِ الْمَشْهُورَةِ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِين أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ شُرُودٌ وَإِبَاقٌ عن ربِّه وَ سَيِّدِهِ، فَرَأَى فِي بَعْضِ السِّكَكِ بَابًا قَدْ فُتِحَ، وَخَرَجَ مِنْهُ صَبِيٌّ يَسْتَغِيثُ وَيَبْكِي، وَأُمُّهُ خَلْفَهُ تَطْرُدُهُ، حَتَّى خَرَجَ، فَأَغْلَقَتِ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَدَخَلَتْ، فَذَهَبَ الصَّبِيُّ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ وَقَفَ مُفَكِّرًا، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ مَأْوًى غَيْرَ الْبَيْتِ الَّذِي أُخْرِجَ مِنْهُ، وَلَا مَنْ يُئْوِيهِ غَيْرَ وَالِدَتِهِ، فَرَجَعَ مَكْسُورَ الْقَلْبِ حَزِينًا، فَوَجَدَ الْبَابَ مُرَتَّجًا [أي مغلقًا]، فَتَوَسَّدَهُ وَوَضَعَ خَدَّهُ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَنَامَ، فَخَرَجَتْ أُمُّهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَمْ تَمْلِكْ أَنْ رَمَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، وَالْتَزَمَتْهُ تُقَبِّلُهُ وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا وَلَدِي، أَيْنَ تَذْهَبُ عَنِّي؟ وَمَنْ يُئْوِيكَ سِوَايَ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لَا تُخَالِفْنِي، وَلَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَى خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِكَ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْكَ، وَإِرَادَتِي الْخَيْرَ لَكَ؟ ثُمَّ أَخَذَتْهُ وَدَخَلَتْ.

فَتَأَمَّلْ قَوْلَ الْأُمِّ: **لَا تَحْمِلْنِي بِمَعْصِيَتِكَ لِي عَلَى خِلَافِ مَا جُبِلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ.**

وَتَأَمَّلْ قَوْلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا**» [كما في الصحيحين] وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟

فَإِذَا أَغْضَبَهُ الْعَبْدُ بِمَعْصِيَتِهِ فَقَدِ اسْتَدْعَى مِنْهُ صَرْفَ تِلْكَ الرَّحْمَةِ عَنْهُ، فَإِذَا تَابَ إِلَيْهِ فَقَدِ اسْتَدْعَى مِنْهُ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ.

فَهَذِهِ نَبْذَةٌ يَسِيرَةٌ تُطْلِعُكَ عَلَى سِرِّ فَرَحِ اللَّهِ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ أَعْظَمَ مِنْ فَرَحِ هَذَا الْوَاجِدِ لِرَاحِلَتِهِ فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ، بَعْدَ الْيَأْسِ مِنْهَا. وَوَرَاءَ هَذَا مَا تَعْجَزُ عَنْهُ الْعِبَارَةُ، وَتَدِقُّ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْأَذْهَانُ.

وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَةَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا مَنْزِلٌ ذَمِيمٌ، وَمَرْتَعٌ عَلَى عَلَّاتِهِ وَخِيمٌ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِهِمَا أَنْ يَجِدَ رَوَائِحَ هَذَا الْأَمْرِ وَنَفَسَهُ، لِأَنَّ زُكَامَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ مُفْسِدٌ لِحَاسَّةِ الشَّمِّ، كَمَا هُوَ

مُفْسِدٌ لِحَاسَّةِ الذَّوْقِ، فَلَا يَذُوقُ [المبتلى به] طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَا يَجِدُ رِيحَهُ، وَالْمَحْرُومُ كُلُّ الْمَحْرُومِ مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ الْغِنَى وَالْخَيْرُ فَلَمْ يَقْبَلْهُ، و لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَ ﴿ **الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحديد 29].

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين

22:10

إِذا أصبح العَبْد وَأمسى **وَلَيْسَ همه إِلَّا الله** وَحده تحمَّل الله سُبْحَانَهُ حَوَائِجه كلهَا وَحمل عَنهُ كل مَا أهمه وَفرَّغ قلبه لمحبته وَلسَانه لذكره وجوارحه لطاعته وَإِن أصبح وَأمسى وَالدُّنْيَا همُّه حمَّله الله هُمومها وغمومها وأنكادها وَ وَكَله إِلَى نَفسه فشغل قلبه عَن محبته بمحبة الْخلق وَلسَانه عَن ذكره بذكرهم وجوارحه عَن طَاعَته بخدمتهم وأشغالهم فَهُوَ يَكْدح كدح الْوَحْش فِي خدمَة غَيره كالكير ينْفخ بَطْنه ويعصر أضلاعه فِي نفع غَيره فكل من أعرض عَن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف 36] قَالَ سُفْيَان بن عُيَيْنَة* : لَا تأتون بِمثل مَشْهُور للْعَرَب إِلَّا جِئتُكُمْ بِهِ من الْقُرْآن فَقَالَ لَهُ قَائِل فَأَيْنَ فِي الْقُرْآن "أعْط أَخَاك تَمْرَة فَإِن لم يقبل فأعطه جَمْرَة" فَقَالَ فِي قَوْله ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [فهذا هذا]

الفوائد

---

* ابن أبي عمران ميمون مَوْلَى مُحَمَّدِ بنِ مُزَاحِمٍ، أَخِي الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ، الإِمَامُ الكَبِيْرُ، حَافِظُ العَصْرِ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي.

مَوْلِدُهُ: بِالكُوْفَةِ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ ومائَةٍ.

وَطَلَبَ الحَدِيْثَ وَهُوَ حَدَثٌ، بَلْ غُلاَمٌ، وَلَقِيَ الكِبَارَ، وَحَمَلَ عَنْهُم عِلْماً جَمّاً، وَأَتقَنَ، وَجَوَّدَ، وَجَمَعَ، وَصَنَّفَ، وَعُمِّرَ دَهْراً، وَازدَحَمَ الخَلْقُ عَلَيْهِ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ عُلُوُّ الإِسْنَادِ، وَرُحِلَ إِلَيْهِ مِنَ البِلاَدِ، وَأَلْحَقَ الأَحْفَادَ بِالأَجدَادِ... وَمِنْ كِبَارِ أَصْحَابِهِ المُكْثِرِيْنَ عَنْهُ: الحُمَيْدِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَابْنُ المَدِيْنِيِّ، وَأَحْمَدُ، وَإِبْرَاهِيْمُ الرَّمادي.

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: لَوْلاَ مَالِكٌ وَسُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ، لَذَهَبَ عِلْمُ الحِجَازِ. **سير أعلام النبلاء**

24:05

إِذا كَانَ الله وَرَسُوله فِي جَانب فاحذر أَن تكون فِي الْجَانِب الآخر فَإِن ذَلِك يُفْضِي إِلَى المُشاقَّة والمُحادّة وَهَذَا أَصْلهَا وَمِنْه اشتقاقها فَإِن المشاقَّة أَن يكون فِي شقّ وَمن يُخَالِفهُ فِي شقّ، والمحادَّة أن يكون فِي حدّ وَهُوَ فِي حدّ، وَلَا تَستسهل هَذَا فَإِن مبادئه تجُرّ إِلَى غَايَته وقليله يَدْعُو إِلَى كَثِيره وَكُن فِي الْجَانِب الَّذِي يكون فِيهِ الله وَرَسُوله وإن كَانَ النَّاس كلُّهم فِي الْجَانِب الآخر فَإِن لذَلِك عواقب هِيَ أَحْمد العواقب وأفضلها وَلَيْسَ للْعَبد أَنْفَع من ذَلِك فِي دُنْيَاهُ قبل آخرته وَأَكْثر الْخلق إِنَّمَا يكونُونَ فِي الْجَانِب الآخر ولاسيما إِذا قويت الرَّغْبَة والرهبة فهناك لَا تكَاد تَجِد أحدا فِي الْجَانِب الَّذِي فِيهِ الله وَرَسُوله بل يعُدّه النَّاس نَاقص الْعقل سيِّء الِاخْتِيَار لنَفسِهِ وَرُبمَا نسبوه إِلَى الْجُنُون وَذَلِكَ من مَوَارِيث أَعدَاء الرُّسُل فَإِنَّهُم نسبوهم إِلَى الْجُنُون لما كَانُوا فِي شقّ وجانب وَالنَّاس فِي شقّ وجانب آخر، وَلَكِن من وطّن نَفسه على ذَلِك فَإِنَّهُ يحْتَاج إِلَى **علم راسخ** بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول يكون يَقِينا لَهُ لَا ريب عِنْده فِيهِ وَ يحتاج إِلَى **صَبر تَامٍّ** على معاداة من عَادَاهُ ولومة من لامه **وَلَا يتم لَهُ ذَلِك إِلَّا برغبة قَوِيَّة فِي الله وَالدَّار وَالْآخِرَة بِحَيْثُ تكون الْآخِرَة أحبَّ إِلَيْهِ من الدُّنْيَا وآثر عِنْده مِنْهَا وَيكون الله وَرَسُوله أحب إِلَيْهِ مِمَّا سواهُمَا**، وَلَيْسَ شَيْء أصعب على الْإِنْسَان من ذَلِك فِي مبادئ الْأَمر فَإِن نَفسه وهواه وطبعه وشيطانه وإخوانه ومعاشريه من ذَلِك الْجَانِب يدعونه إِلَى العاجل فَإِذا خالفهم تصدَّوا لحربه فَإِن صَبر وَثَبت جَاءَهُ العون من الله وَصَارَ ذَلِك الصعب سهلا وَذَلِكَ الْأَلَم لَذَّة فَإِن الرب شكور فَلَا بُد أَن يذيقه لَذَّةً تُحيِّزه إِلَى الله وَإِلَى رَسُوله ويريه كَرَامَة ذَلِك فيشتد بِهِ سروره وغبطته ويبتهج بِهِ قلبه ويظفر بقوته وفرحه وسروره وَيبقى من كَانَ مُحَارِبًا لَهُ على ذَلِك بَين هائب لَهُ ومُسالم لَهُ ومُساعد وتارك ويَقْوى جنده ويضعف جند الْعَدوّ **وَلَا تستصعب مُخَالفَة النَّاس والتحيز إِلَى الله وَرَسُوله وَلَو كنت وَحدك فَإِن الله مَعَك وَأَنت بِعَيْنِه وكلاءته وَحفظه لَك وَإِنَّمَا امتحن يقينك وصبرك** و أعظم الأعوان لَك على بعد عون الله هَذَا بعون اله التجرد من الطَّمع والفزع فَمَتَى تجردت مِنْهُمَا هان عَلَيْك التحيز إِلَى الله وَرَسُوله وَكنت دَائِما فِي الْجَانِب الَّذِي فِيهِ الله وَرَسُوله وَمَتى قَامَ بك الطمع و الفزع فَلَا تطمع فِي

هَذَا الْأَمر وَلَا تحدِّث نَفسك بِهِ فَإِن قلت **فَبِأَي شَيْء أستعين على التجرُّد من الطَّمع وَمن الْفَزع فالجواب بِالتَّوْحِيدِ والتوكُّل والثِّقة بِاللَّه وعلمك بِأَنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلا هو وَلَا يَذْهب بالسيآت إِلَّا هُوَ وَأَن الْأَمر كُله لله لَيْسَ لأحد مَعَ الله شَيْء.**

الفوائد

قال شيخ الإسلام رحمه الله : **فمن كان متبعًا للأنبياء نصره الله سبحانه بما نصر به الأنبياء**

29:17

قَالَ شَقِيق بن إِبْرَاهِيم*: أغلق بَاب التَّوْفِيق عَن الْخلق من سِتَّة أَشْيَاء:

اشتغالهم بِالنعْمَةِ عَن شكرها، ورغبتهم فِي الْعلم وتركهم الْعَمَل، والمسارعة إِلَى الذَّنب وَتَأْخِير التَّوْبَة، والاغترار بِصُحْبَة الصَّالِحين وَترك الِاقْتِدَاء بفعالهم، وإدبار الدُّنْيَا عَنْهُم وهم يتبعونها، وإقبال الْآخِرَة عَلَيْهِم وهم معرضون عَنْهَا. [أغلق باب التوفيق من هذه الأشياء]

وأصل ذَلِك عدم الرَّغْبَة والرهبة، وَأَصله ضعف الْيَقِين، وَأَصله ضعف البصيرة، وَأَصله مهانة النَّفس ودناءتها واستبدال الَّذِي هُوَ أدنى بِالَّذِي هُوَ خير وَإِلَّا فَلَو كَانَت النَّفس شريفة كَبِيرَة لم ترض بالدون فَأصل الْخَيْر كُله بِتَوْفِيق الله ومشيئته شَرف النَّفس ونُبْلها وكِبْرها وأصل الشَّرّ خِسَّتها ودناءتها وصِغرها، قَالَ تَعَالَى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا – وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس 9-10] أَي أَفْلح من كبّرها وكثّرها ونمَّاها بِطَاعَة الله، وخاب من صغّرها وحقّرها بمعاصي الله.

---

* أبو علي شقيق بن إبراهيم البخلي؛ من مشايخ خراسان، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه، صاحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق، وهو أستاذ حاتم الأصم، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حدث، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعالمهم: إن هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء، فقال له: ليس يوافق قولك فعلك، فقال له شقيق: كيف قال: زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء وقد تعنيت إلى ها هنا لطلب الرزق، قال شقيق فكان سبب زهدي كلام التركي، فرجع وتصدق بجميع ما يملك، وطلب العلم.

وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة، رحمه الله تعالى. ذكره ابن الجوزي في " الشذور ". **وفيات الأعيان**

و ترجمته في الجرح والتعديل "4/ ترجمة 1623"، وحلية الأولياء "8/ ترجمة 395"، والعبر "/ 315"، وميزان الاعتدال "2/ 279"، وشذرات الذهب لابن العماد "1/ 341".

فالنفوس الشَّرِيفَة لَا ترْضى من الْأَشْيَاء إِلَّا بِأَعْلَاهَا وأفضلها وأحمدها عَاقِبَةً، والنُّفوس الدنيئة تحوم حول الدّناءات وَتَقَع عَلَيْهَا كَمَا يَقع الذُّبَاب على الأقْذار، فَالنَّفْس الشَّرِيفَة الْعلية لَا ترْضى بالظُّلم وَلَا بالفواحش وَلَا بِالسَّرقَةِ والخِيانة لِأَنَّهَا أكْبَر من ذَلِك وأجلّ [النَّفْس الشَّرِيفَة الْعلية لَا ترْضى بالظُّلم وَلَا بالفواحش وَلَا بِالسَّرقَةِ والخِيانة لِأَنَّهَا أكْبَر من ذَلِك وأجلّ]، وَالنَّفس المهينة الحقيرة والخسيسة بالضدّ من ذَلِك، فَكل نفس تميل إِلَى مَا يُنَاسِبهَا ويشاكلها وَهَذَا معنى قَوْله تَعَالَى ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِه**﴾ [الإسراء 84] أَي على مَا يُشاكله ويُناسبه، فَهُوَ يعْمل على طَرِيقَته الَّتِي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إِنْسَان يجْرِي على طَرِيقَته ومذهبه وعاداته الَّتِي ألفها وجُبِل عَلَيْهَا فالفاجر يعْمل بِمَا يشبه طَرِيقَته من مُقَابلَة النعم بِالْمَعَاصِي والإعراض عَن الْمُنْعم وَالْمُؤمن يعْمل بِمَا يُشاكله من شكر المنعم ومحبته وَالثنَاء عَلَيْهِ والتودد إِلَيْهِ وَالْحَيَاء مِنْهُ والمراقبة لَهُ وتعظيمه وإجلاله.

الفوائد

32:55

لَا ينْتَفع بِنِعْمَة الله بِالْإِيمَان وَالْعلم إِلَّا من عرف نَفسه ووقف بهَا عِنْد قدْرهَا وَلم يتجاوزه إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ وَلم يَتَعَدَّ طوره وَلم يقل هَذَا لي وتيقّن أَنه لله وَمن الله وَبِاللَّهِ فَهُوَ المَانُّ بِهِ ابْتِدَاءً وإدامةً بلَا سَبَب من العَبْد وَلَا اسْتِحْقَاق مِنْهُ فتذلُّه نِعَم الله عَلَيْهِ وتَكْسره كَسْرة من لَا يرى لنَفسِهِ وَلَا فِيهَا خيرًا البتّة وَأَن الْخَيْر الَّذِي وَصل إِلَيْهِ فَهُوَ لله وَبِه وَمِنْه فَتُحدث لَهُ النِّعم ذلا وانكسارا عجيبا لَا يعبّر عَنهُ فَكلما جدَّد لَهُ نعْمَة ازْدَادَ لَهُ ذلًّا وانكسارا وخشوعًا ومحبةً وخوفًا ورجاء وَهَذَا نتيجة علمين شريفين **عِلْمه بربِّه** وكماله وبرِّه وغِناه وجُوده وإحسانه وَرَحمته وَأَن الْخَيْر كُله فِي يَدَيْهِ وَهُوَ ملكه يُؤْتِي مِنْهُ من يَشَاء وَيمْنَع مِنْهُ من يَشَاء وَله الْحَمد على هَذَا وَهَذَا أكمل حمد وأتمُّه [فهذا علم و الثاني] **عِلمه بِنَفسِهِ** وَ وُقوفه على حَدِّهَا وقَدْرها ونقصها وظلمها وجهلها وَأَنَّهَا لَا خير فِيهَا الْبَتَّةَ وَلَا لَهَا وَلَا بهَا وَلَا مِنْهَا وَأَنَّهَا لَيْسَ لَهَا من ذَاتهَا إِلَّا الْعَدَم فَكَذَلِك من

صِفاتها وكمالها لَيْسَ لَهَا إِلَّا الْعَدَم الَّذِي لَا شَيْء أَحْقَر مِنْهُ وَلَا أنْقص فَمَا فِيهَا من الْخَيْر تَابع لوجودها الَّذِي لَيْسَ إِلَيْهَا وَلَا بهَا، فَإِذا صَار هَذَانِ العلمان [و هما معرفة العبد بربِّه و معرفة العبد بنفسه] صِبْغَةً لَهَا لَا صِيغَةً على لسانها عَلِمَتْ حِينَئِذٍ أَن **الْحَمد كُله لله وَالْأَمر كُله لَهُ وَالْخَيْر كُله فِي يَدَيْهِ وَأَنه هُوَ الْمُسْتَحق للحَمْد وَالثنَاء والمدح دونهَا وَأَنَّهَا هِيَ أولى بالذمِّ وَالْعَيْب واللَّوم** وَمن فَاتَهُ التَّحَقُّق بِهَذَيْنِ العلمين تلوَّنت بِهِ أَقْوَاله وأعماله وأحواله وتخبَّطت عَلَيْهِ وَلم يَهْتد إِلَى الصِّرَاط الْمُسْتَقيم الْموصل لَهُ إِلَى الله فإيصال العَبْد بتحقيق هَاتين المعرفتين عِلما وَحَالا وانقطاعه بفواتهما وَهَذَا معنى قَوْلهم "**مَنْ عَرَفَ نَفْسَه عَرَفَ رَبَّه**" فَإِنَّهُ من عرف نَفسه بِالْجَهْلِ وَالظُّلم وَالْعَيْب والنقائص وَالْحَاجة والفقر والذل والمسْكنة والعُدْم عرف ربه بضد ذَلِك فَوقف بِنَفسِهِ عِنْد قدرهَا وَلم يَتَعَدَّ بهَا طَوْرها وَأثْنى على ربه بِبَعْض مَا هُوَ أَهله وانصرفت قُوَّة حبه وخشيته ورجائه وإنابته وتوكّله إِلَيْهِ وَحده وَكَانَ أحب شَيْء إِلَيْهِ وأخوف شَيْء عِنْده وأرجاه لَهُ **وَهَذَا هُوَ حَقِيقَة الْعُبُودِيَّة** وَالله الْمُسْتَعَان.

ويُحكى أَن بعض الْحُكَمَاء كتب على بَاب بَيته: أنَّه لن ينْتَفع بحكمتنا إِلَّا من عرف نَفسه ووقف بهَا عِنْد قدرهَا فَمن كَانَ كَذَلِك فَلْيدْخلْ وَإِلَّا فَليرْجع حَتَّى يكون بِهَذِهِ الصّفة.

الفوائد

37:27

[و لِيُعْلَمْ أنّ الغاية المطلوبة هي] محبة الله سبحانه، والأنس به، والشَّوق إلى لقائه، والرضى به وعنه: أصل الدين وأصل أعماله وإرادته، كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. **فمعرفته أجَلُّ المعارف، وإرادة وجهه أجَلُّ المقاصد، وعبادته أشْرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملَّة إبراهيم –عليه السلام–**. وقد قال تعالى لرسوله –صلى الله عليه و سلَّم–: ﴿**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 123] .

وكان النبي صلَّى الله عليه وسلم يوصى أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا "**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد، وملة أبينا إبراهيم، حنيفا مسلما، وما كان من المشركين**". [رواه عبد الله ابن أحمد في زياداته على المسند لأبيه بإسناد صحيح]

وذلك هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وعليها قام دين الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء والمرسلين، وليس لله دين سواه ولا يقبل من أحد دينا غيره.

﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينا فَلَنَ يُقْبَلَ مَنْهُ وهو فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران: 85] .

فمحبته تعالى، بل كونه أحبَّ إلى العبد من كل ما سِواه على الإطلاق، من أعظم واجبات الدين، وأكبر أصوله، وأجلِّ قواعده، ومن أحب معه مخلوقا مثل ما يحبه فهو من الشرك الذي لا يُغفر لصاحبه، ولا يُقبل معه عمل. قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ، وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبا للهِ**﴾ [البقرة: 165] .

وإذا كان العبد لا يكون من أهل الإيمان حتى يكون [عبد]* الله ورسوله أحب إليه من نفسه وأهله وولده ووالده والناس أجمعين، ومحبته تبع لمحبة الله، فما الظن بمحبته سبحانه؟ وهو سبحانه لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته [فتأمّل في هذا المعنى الظاهر المكشوف و إيَّاك أن تعشو عنه فضلًا عن أن يعمى الأبعد عنه، إذا كان العبد لا يكون من أهل الإيمان حتى يكون رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أحب إليه من نفسه وأهله وولده ووالده والناس أجمعين، ومحبت الرسول صلى الله عليه و سلّم تبع لمحبة الله، فما الظنُّ بمحبته سبحانه؟ وهو سبحانه لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته]، التي تتضمَّن كمال محبّته و كمال تعظيمه والذلّ له، ولأجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه. وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب، و على ذلك أسِّست الجنة والنار، وانقسم الناس إلى شقيٍّ وسعيد، وكما أنه سبحانه ليس كمثله شيء، فليس كمحبته وإجلاله و خوفه محبة وإجلال ومخافة.

---

* أسقطها الشيخ في المرّة الأولى و استدرك ذلك بإسقاط "عبد الله" عند أعادته للكلام

فالمخلوق كلما خفته استوحشت منه، وهربت منه. **والله سبحانه كلما خفته أنست به وفررت إليه.** والمخلوق يخُاف ظلمه، وعدوانه، **والرب سبحانه إنَّما يخُاف عدله وقسطه** [و يرجى فضله].

وكذلك المحبة، فإن محبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه.

وما يحصل له بها من التألم أعظم مما يحصل له من اللذة. وكلما كانت أبعد عن الله كان ألمها وعذابها أعظم.

هذا إلى ما في محبته من الإعراض عنك، والتجنِّي عليك [يعني المخلوقَ]، وعدم الوفاء لك، إمَّا لمزاحمة غيرك من المحبين له، وإما لكراهته ومعاداته لك، وإما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحب إليه منك، وإما لغير ذلك من الآفات.

وأما محبة الرب سبحانه فشأنها غير هذا الشأن، فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحييها. **فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن. فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسَرُّ، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنَّعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة.**

كما أخبر بعض الصالحين عن حاله بقوله "إنه ليمر بي من الأوقات أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب".

وقال آخر: "إنه ليمر بالقلب أوقات يهتزّ فيها طربا بأنسه بالله وحبه له".

وقال آخر: "مساكين أهْلُ الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها".

وقال آخر: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

وّ وَجْدُ هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه، وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم، والقرب منه أوْفَر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحَبَّ، وإليه أقرب وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه، ولا يعرف إلا بالذوق والوَجْد، ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يُقدِّم عليه حبا لغيره، ولا أنسًا به، وكلما ازداد له حبا ازداد له عبودية وذلا، وخضوعا ورقا له، وحرية عن رق غيره.

فالقلب لا يُفلح ولا يَصلح ولا يتَنَعَّم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يَسْكن، إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئنَّ إليها، ولم يسكن إليها، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقا، حتى يظفر بما خلق له، وهُيِّئ له: من كون الله وحده نهاية مراده، وغاية مطالبه. فإن فيه فقرا ذاتيا إلى ربه وإلهه، من حيث هو معبوده ومحبوبه وإلهه ومطلوبه، كما أن فيه فقرا ذاتيا إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبره. وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه خرج منه تألهه لما سواه وعبودبته له.

وما من مؤمن إلا وفى قلبه محبة لله تعالى. وطمأنينة بذكره، وتنَعَّمٌ بمعرفته، ولذة وسرور بذكره، وشوق إلى لقائه، وأنس بقربه، وإن لم يُحسَّ به، لاشتغال قلبه بغيره، وانصرافه إلى ما هو مشغول به، **فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به.**

وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقْصُه: هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصه.

ومتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ونهاية مقصوده، وهو المَحْبوبَ المُرَادَ له بالذات والقصد الأول، وكل ما سواه فإنما يحبه ويريده ويطلبه تبعا لأجله،[متى لم يكن ذلك كذلك] لم يكن قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله، وكان فيه من النقص والعيب والشرك بقدره، وله من موجبات ذلك من الألم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك.

ولو سعى في هذا المطلوب بكل طريق، واستفتح من كل باب، ولم يكن مستعينا بالله، متوكلا عليه، مفتقرا إليه في حصوله، متيقِّنا أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته، [و تسديده]

وإعانته، لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجوه [متى لم يكن ذلك كذلك]**، لم يحصل له مطلوبه. فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فلا يوصِّل إليه سواه، ولا يدل عليه سواه، ولا يُعبد إلا بإعانته، ولا يطاع إلا بمشيئته.**

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 28 - 29]

وإذا عرف هذا، فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذَّته، تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية [الّتي هي في قلب كلِّ مؤمن] قد استترت عنه وتوارت، أو نقَصَت، أو ذهبت. فإنها لو كانت موجودة كاملة لما قدم عليها لذَّة وشهوة، لا نسبة بينها و بينها بوجه من الوجوه، بل هي أدنى من حبة خردل بالنسبة إلى الدنيا وما فيها. ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: "**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمَرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**". [و الحديث في الصحيحين]

فإن ذوق حقيقة الإيمان ومباشرته لقلبه يمنعه من أن يؤثر عليه ذلك القدر الخسيس، وينهاه عما يُشَعِّثه ويَنْقُصه.

ولهذا تجد العبد إذا كان مخلصا لله منيبا إليه، مطمئنا بذكره، مشتاقا إلى لقائه [تجد قلبه] منصرفا عن هذه المحرَّمات، لا يلتفت إليها، ولا يعول عليها، ويرى استبداله بها عما هو فيه كاستبداله البعر الخسيس بالجوهر النفيس، وبيعه الذهب بأعقاب الجزر، وبيعه المسك بالرجيع.

ولا ريب أن في النفوس البشرية من هو بهذه المثابة، إنما يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، و ينفر من المطالب العالية، واللذَّات الكاملة كما ينفر الجُعَل من رائحة الورد. وشوهد من يمسك بأنفه عند وجود [رائحة] المسك ويتكرَّه بها، لما يناله بها من المضرَّة.

فمن خلق للعمل في الدباغة لا يجيء منه العمل في صناعة الطِّيب، ولا يليق ولا يتأتى منه. والنفس لا تترك محبوبا إلَّا لمحبوب هو أحب إليها منه، أو للخوف من مكروه هو أشق عليها من فوات ذلك المحبوب.

فالذنب يُعْدَم لعدم المقتضي له تارة، لاشتغال القلب بما هو أحب إليه منه، ولوجود المانع تارة، ومن خوف فوات محبوب هو أحب إليه منه تارة.

فالأول: حال من حصل له من ذوق حلاوة الإيمان وحقائقه والتنعم به، ما عوض قلبه عن مَيْله إلى الذنوب.

والثاني: حال من عنده داع وإرادة لها، وعنده إيمان وتصديق بوعد الله تعالى ووعيده، فهو يخاف إن واقع الذنوب أن يقع فيما هو أكره إليه، وأشق عليه.

فالأول: النفوس المطمئنة إلى ربها. والثاني: لأهل الجهاد والصبر.

وهاتان النفسان هما المخصوصتان بالسعادة والفلاح.

قَال اللهُ تعَالَى فى النفس الأولى: ﴿**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَة مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ [الفجر: 27 - 30] .

وقال في الثانية: ﴿**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل: 110] .

فالنفوس ثلاثة: نفس مطمئنة إلى ربها. وهى أشرف النفوس وأزكاها. ونفس مجاهدة صابرة. ونفس مفتونة بالشهوات والهوى، وهى النفس الشقية، التي حظها الألم والعذاب، والبعد عن الله تعالى والحجاب.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان

[نسأل الله أن يجعل نفوسنا من النفوس المطمئنة و هو البرّ الجواد الكريم و صلى الله و سلّم على محمد و على آله و أصحابه أجمعين]

الخطبة الثانية

54:00

[الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبيَّ بعده أمّا بعد

فإنه لا يدلّ العبد على الله شيء كالعلم النافع وتبقى المعضلة في معرفة ماهو العلم النافع و ما حقيقته فإنّ النّاس صاروا في هذا الأمر طرائق قِدَدًا و كلٌ يَدَّعي أنّ ما عنده من العلم هو العلم النافع و أن ما سواه أبطل الباطل وقد بيّن الإمام الحافظ الفقيه أبو الفرج عبد الرحمان ابن رجب رحمه الله تعالى في فضل علم السلف على الخلف العلم النافع في مواضع منها]

فالعلم النافع من هذه العلوم كلِّها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث. وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزُّهد والرقائق والمعارف وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا ثم الاجتهاد على الوقوف في معانيه وتفهمه ثانياً. وفي ذلك كفاية لمن عقل وشغل لمن بالعلم النافع عُنِيَ واشتغل.

ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهّمه وألهمه. وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله عزَّ وجلَّ كما قال تعالى ﴿**إِنَّما يَخشى اللَهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ**﴾ [فاطر 28]

و قال ابن مسعود –رضي الله عنه– وغيره : كفى بخشية اللَه علما وكفى بالاغترار باللَه جهلا.

وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية.

وقال بعضهم: من خشي اللَهَ فهو عالم ومن عصاه فهو جاهل.

وسبب ذلك أن هذا العلم النافع يدل على أمرين:

أحدهما على **معرفة الله** وما يستحقه من الأسماء الحُسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه

والأمر الثاني **المعرفة بما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال** فيوجب ذلك لمن عَلِمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه و إلى التباعد عما يكرهه ويسخطه،

فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب للَّه وانكسر له وذلِّ هيبة وإجلالا وخشية ومحبة وتعظيما، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا. وكلُّ ما هو فان لا يبقى من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة وإن كان كريماً على الله [فكل ذلك و كل ما كان كذلك فهو فانٍ لا بقاء له و لا أثر له].

وأوجب ذلك أن يكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة. فإن سأله أعطاه وإن دعاه أجابه كما قال في الحديث الإلهي "**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه** إلى قوله **فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه** " [كما في حديث البخاريِّ رحمه الله عن أبي هريرة عن النبيِّ عن ربِّ العزّة عزّ و جلّ] وفي وصيت النبيِّ صلى الله عليه وآله و سلم [كما في الحديث الصحيح الّذي أخرجه أحمد و الترمذيِّ و غيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ صلّى الله عليه و سلّم قال له] "**اِحفظ الله يحفظك احفظ اللَه تجده أمامك تعرف إلى اللَه في الرخاء يعرفك في الشدة** ".

[فمدار الأمر على هذه الجملة **احفظ الله يحفظك احفظ الله يحفظك**، احفظ الله في أَمْره و نهيه، احفظ الله في دينه و شرعه، احفظ الله ربّ العالمين خوفًا منه واقبالا عليه و فِرارًا إليه و فرارًا عما و من سواه **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى اللَه في الرخاء يعرفك في الشدة**]

فالشأن في أن العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريباً منه يستأنس به في خَلْوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته. ولا يجد ذلك إلا من أطاعه في سره وعلانيته.

كما قيل لوُهَيْب بن الورد*: يجد حلاوة الطاعة من عصى، قال: لا ولا من همَّ [أي همَّ بالمعصية].

ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة. فإذا سأله أعطاه. وإذا دعاه أجابه والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الموقف فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله.

قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: إن أقواماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع

قال الحسن* : العلم علمان فعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم. وعلم في القلب فذلك العلم النافع**.

---

*وهيب بْن الْوَرْد الْمَكِّيّ أَخُو عبد الْجَبَّار بْن الْوَرْد كنيته أَبُو أُمَيَّة وَقد قيل أَبُو عُثْمَان وَيُقَال إِن اسْمه عبد الْوَهَّاب بْن الْوَرْد ووهيب لقب وَكَانَ من الْعباد المتجردين لترك الدُّنْيَا والمنافسين فِي طلب الْآخِرَة جَالس أَبَا حَازِم وَغَيره وَلَيْسَ لَهُ كثير حَدِيث يرجع إِلَيْهِ روى عَنهُ بن الْمُبَارك وَمُحَمّد بْن يَزِيدَ بْن خُنَيْس مَاتَ سنة ثَلَاث وَخمسين وَمِائَة **الثقات لابن حبان**

* الْحَسَن بن أَبِي الْحَسَن ، واسمه يسار، البَصْرِيّ، أَبُو سَعِيد، مولى زيد بْن ثابت، ويُقال: مولى جابر بْن عَبد اللَّه، ويُقال: مولى جميل بْن قطبة بْن عامر بْن حديدة، ويُقال: مولى أبي اليسر ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة، زوج النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ.

قال مُحَمَّد بْن سعد : واسم أبي الْحَسَن يسار، يقال: إنه من سبي ميسان، وقع إلى المدينة، فاشترته الربيع بنت النضر، عمة أنس بْن مالك، فأعتقته، وذكر عن الْحَسَن أنه قال: كَانَ أبواي لرجل من بني النجار، فتزوج امرأة من بني سلمة، فساقهما إليها من صداقها فأعتقتهما، وولد الْحَسَن لسنتين بقيتا من خلافة عُمَر بْن الخطاب، فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت فيبكي، فتعطيه أم سلمة ثديها، تعلله به إلى أن تجئ أمه، فدر عليه ثديها فشربه، فيرون أن تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.

ونشأ الْحَسَن بوادي القرى، وكان فصيحا.

رأى علي بْن أَبِي طَالِب، وطلحة بْن عُبَيد اللَّه، وعائشة، ولم يصح له سماع من أحد منهم، وحضر يوم الدار، وله أربع عشرة سنة، وكان كاتبا للربيع بن زياد الحارثي، والي خراسان من جهة عَبد اللَّه بْن عامر، في عهد معاوية بْن أَبِي سفيان، وكان له من الأُخْوة: سَعِيد بْن أَبِي الْحَسَن، وعمار بْن أَبِي الْحَسَن، وكان عمار من البكائين، حتى صار في وجهه جحران من البكاء فيما ذكر عَمْرو ابن عَلِيّ.

** (العلم علمان: فعلم ثابت في القلب؛ فذاك العلم النافع، وعلم في اللسان؛ فذاك حجة الله على عباده) .

منكر مرفوعاً

أخرجه إسماعيل الصفار أبو علي في "حديثه" (ق 12/ 2) ، وابن بشران في "الأمالي" (22/ 61/ 2) ، وأبو عبد الرحمن السلمي في "الأربعين الصوفية" (4/ 1) ، والديلمي (2/ 305) عن عبد السلام بن صالح، عن يوسف ابن عطية، عن قتادة، عن أنس مرفوعاً.

قلت: عبد السلام بن صالح – وهو أبو الصلت الهروي –؛ قال الحافظ:

"صدوق، له مناكير، وكان يتشيع، وأفرط العقيلي فقال: كذاب".

ويوسف بن عطية؛ متروك.

ثم رأيت في مسودتي؛ أن الحافظ ابن رجب قال:

"هذا لا يثبت مرفوعاً، وأبو الصلت الهروي متروك، ويوسف بن عطية ضعيف، ولكن هذا كلام الحسن رضي الله عنه، روي عنه من غير وجه".

قلت: أخرجه الدارمي (1/ 102) عن فضيل بن عياض، والمروزي في "زوائد الزهد" (1161) عن عباد بن العوام؛ كلاهما، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – به. وكذا رواه الصفار وابن بشران.

قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وخالفهما يحيى بن يمان فقال: عن هشام، عن الحسن، عن جابر مرفوعاً. فوصله بذكر جابر فيه.==

وكان السلف يقولون أن العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر اللَه. وعالم بالله ليس بعالم بأمره. وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله وأكملهم الأول وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه.

فالشأن كلُّه في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه فإذا عرف ربه فقد وجده منه قريباً ومتى وجده منه قريباً قرَّبه إليه وأجاب دعاءه.

وكان الإمام أحمد رحمه اللَه يقول عن معروف **معه أصل العلم: خشية الله.**

فأصل العلم العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه. ثم يتلوه العلم بأحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد.

فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعاً وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعاء المسموع.

ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الأربع التي استعاذ منها النبي صلي الله عليه وسلم [كما في حديث مسلم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في ما رواه عنه زيد ابن أرقم **"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا"**] وصار علمه وَبَالا وحجة عليه فلم ينتفع به لأنه لم يخشع قلبه لربه. ولم تشبع نفسه من الدنيا بل ازداد عليها حرصاً ولها طلباً. ولم يُسمع دعاؤه لعدم امتثاله لأوامر ربه. وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه.

فضل علم السلف على الخلف

أخرجه الخطيب في "التاريخ" (4/ 346) .

ووصله ضعيف لا يصح؛ لأن ابن يمان يخطىء كثيراً، وكان قد تغير؛ كما قال الحافظ، ولا أدل على خطئه من مخالفته للثقتين المذكورين؛ فضيل بن عياض وعباد بن العوام اللذين أرسلاه، وهو وصله!

وقد تابعهما على إرساله: أبو معاوية، عن الحسن به. أخرجه ابن عبد البر (1/ 190) .

فثبت يقيناً أن وصل ابن اليمان إياه خطأ، فقول المنذري في "الترغيب" (1/ 61) :

"إسناده حسن" غير حسن، وكذا قول العراقي في "تخريجه" (1/ 52) :

"إسناده جيد" غير جيد.

وقد رواه الدارمي أيضاً: أخبرنا مكي بن إبراهيم: حدثنا هشام، عن الحسن قال: ... فذكره موقوفاً عليه. وكذلك رواه أبو الحسن بن الصلت (2/ 1) موقوفاً.

ولعله أصح، وهو الذي رجحه الحافظ ابن رجب كما تقدم، والله أعلم.

[فهذا هو العلم النّافع و هو الّذي يورثك المحبة وهو ما عرّف العبد بربّه و عرف به العبد ربّه و ما أثمر الخشية و زاد في اليقين نسأل الله جلّت قدرته و تقدّست أسماؤه أن يرزقنا العلم النّافع و العمل الصالح و أن يحسن ختامنا و أن يرحم أمواتنا و أموات المسلمين اللهم ارحم أمواتنا و أموات المسلمين اللهم ارحم أمواتنا و أموات المسلمين اللهم ارحم أمواتنا و أموات المسلمين و اعف عنّا و عنهم أجمعين يا ربّ العالمين و صلى الله و سلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله و أصحابه و التابعين إنه تعالى هو البرّ الجواد الكريم]

موقع فضيلة الشيخ
محمد سعيد رسلان
www.rslan.com

قلة السالكين وكثرة الهالكين

انتهى
وجزاكم الله خيرًا